@ 237 @ يدعوهم إلى معاداتهم . وكذلك ما كان عليه المشركون ، والكفار والمخالفون للمسلمين ، من قدحهم في دين المسلمين ، واتخاذهم إياه هزوا ولعبا ، واحتقاره واستصغاره ، خصوصا الصلاة ، التي هي أظهر شعائر المسلمين ، وأجل عباداتهم . إنهم إذا نادوا إليها اتخذوها هزوا ولعبا ، وذلك لعدم عقلهم ، ولجهلهم العظيم . وإلا فلو كان لهم عقول ، لخضعوا لها ، ولعلموا أنها أكبر من جميع الفضائل التي تتصف بها النفوس . فإذا علمتم أيها المؤمنون ، حال الكفار وشدة معاداتهم لكم ولدينكم فمن لم يعادهم بعد هذا ، دل على أن الإسلام عنده ، رخيص ، وأنه لا يبالي بمن قدح فيه ، أو قدح بالكفر والضلال ، وأنه ليس عنده من المروءة والإنسانية شيء . فكيف تدعي لنفسك دينا قيما ، وأنه الدين الحق ؛ وما سواه باطل ، وترضى بموالاة من اتخذه هزوا ولعبا ، وسخر به وبأهله ، من أهل الجهل والحمق ؟ وهذا فيه من التهييج على عداوتهم ، ما هو معلوم لكل من له أدنى مفهوم . ^ (قل ي أهل الكتاب هل تنقمون منآ إلا أن آمنا با ومآ أنزل إلينا ومآ أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون * قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند ا من لعنه ا وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أول ئك شر مكانا وأضل عن سوآء السبيل * وإذا جآءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به وا أعلم بما كانوا يكتمون * وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون * لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون) ^ أي : ! 2 2 ! يا أيها الرسول ! 2 2 ! ملزما لهم . إن دين الإسلام هو الدين الحق ، وإن قدحهم فيه ، قدح بأمر ينبغي المدح عليه : ! 2 2 ! أي : هل لنا من العيب ، إلا إيماننا با ، وبكتبه السابقة واللاحقة ، وبأنبيائه المتقدمين والمتأخرين ، وبأننا نجزم أن من لم يؤمن كهذا الإيمان ، فإنه كافر فاسق ؟ فهل تنقمون منا ، بهذا الذي أوجب الواجبات على جميع المكلفين ؟ ومع هذا ، فأكثرهم فاسقون ، أي : خارجون عن طاعة ا متجرئون على معاصيه فأولى لكم أيها الفاسقون السكوت . فلو كان عيبكم ، وأنتم سالمون من الفسق ، وهيهات ذلك لكان الشر أخف من قدحكم فينا مع فسقكم . ولما كان قدحهم في المؤمنين ، يقتضي أنهم يعتقدون أنهم على شر ، قال تعالى : ! 2 2 ! لهم ، مخبرا عن شناعة ما كانوا عليه : ! 2 2 ! الذي نقمتم فيه علينا ، مع التنزل معكم . ! 2 2 ! أي : أبعده عن رحمته ! 2 2 ! وعاقبه في الدنيا والآخرة ^ (وجعل منهم القرة والخنازير وعبد الطاغوت) ^ وهو الشيطان ، وكل ما عبد من دون ا ، فهو طاغوت . ! 2 2 ! المذكورون بهذه الخصال القبيحة ! 2 2 ! من المؤمنين

الذين رحمة ا قريب منهم ، ورضي ا عنهم ، وأثابهم في الدنيا والآخرة ، لأنهم أخلصوا له الدين . وهذا النوع ، من باب استعمال أفعل التفضيل في غير بابه . وكذلك قوله : ^ (وأضل عن سوء السبيل) ^ أي : وأبعد عن قصد السبيل . ! 2 2 ! نفاقا ومكرا ^ (و) ^ هم 2 ! 2 ! مشتملين ! 2 2 ! فمدخلهم ومخرجهم ، بالكفر وهم يزعمون أنهم مؤمنون . فهل أشر من هؤلاء ، وأقبح حالا منهم ؟ ! 2 2 ! فيجازيهم بأعمالهم ، خيرها وشرها . ثم استمر تعالى ، يعدد معايبهم ، انتصارا لقدحهم في عباده المؤمنين فقال : ! 2 2 ! أي : من اليهود ! 2 2 ! أي : يحرصون ، ويبادرون المعاصي المتعلقة في حق الخالق والعدوان على المخلوقين . ! 2 2 ! الذي هو الحرام . فلم يكتف بمجرد الإخبار أنهم يفعلون ذلك ، حتى أخبر أنهم يسارعون فيه . وهذا يدل على خبثهم وشرهم ، وأن أنفسهم مجبولة على حب المعاصي والظلم . هذا ، وهم يدعون لأنفسهم ، المقامات العالية . ! 2 2 ! وهذا في غاية الذم لهم ، والقدح فيهم . ! 2 2 ! أي : هلا ينهاهم العلماء ، المتصدون لنفع الناس ، الذين من ا عليهم بالعلم والحكمة عن المعاصي التي تصدر منهم ، ليزول ما عندهم من الجهل ، وتقوم حجة ا عليهم . فإن العلماء ، عليهم أمر الناس ونهيهم ، وأن يبينوا لهم الطريق الشرعي ، ويرغبون في الخير : ويرهبوهم من الشر ! 2 2 ! . ^ (وقالت اليهود يد ا مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشآء وليزيدن كثيرا منهم مآ أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضآء إلى يوم القيامة كلمآ